

جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي والتربوي

الشيخ إبراهيم بيوض نموذجا

The efforts of the Algerian scholars regarding social and educational reform

Sheikh Ibrahim Bayoudh as a model

كمال عويسي*

جامعة غرداية (الجزائر)

البريد الإلكتروني المهني: aouissi.kamel@univ-ghardaia.dz

تاريخ النشر
2022/04/16

تاريخ القبول
2022/03/12

تاريخ الإيداع
2022/02/18

الملخص: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شخصية تاريخية بارزة في الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري وهو الشيخ إبراهيم بيوض، متطرقين إلى أهم جهوده الإصلاحية على المستوى الاجتماعي والتربوي وذلك باستخدام المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي الذي استعرضنا من خلاله أهم إسهاماته ومواقفه من بعض القضايا الوطنية والعربية وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الشيخ بيوض كان أحد أعمدة الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري كما كان له دور كبير في إبراز أهمية التربية والتعليم وذلك بإنشاء نوادي ومعاهد ومدارس تعليمية من أجل النهوض بالمجتمع ترويا وأخلاقيا أيضا وقوفه أمام المستعمر الفرنسي والسياسة التنصيرية وتمسكه بتعاليم الدين الحنيف وفق منهج إصلاحي مستمد من الكتب والسنة وفي ضوء هذه الدراسة نقترح دراسة معمقة اجتماعية وتاريخية في ملتقى علمي حتى يستفيد هذا الجيل من إسهاماته العلمية وتجاربه الشخصية.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم بيوض؛ الحركة الإصلاحية؛ الإصلاح الاجتماعي والتربوي.

Abstract:

The present research paper aims to shed light on a prominent historical figure in the reform movement in southern Algeria, Sheikh Ibrahim Bayoudh, addressing his most important reform efforts at the social and educational levels, using the descriptive

* المؤلف المرسل

historical and the analytical methods through which we reviewed his most important contributions and positions on some national and Arab issues. On this basis, this study reached the following important results: Sheikh Bayoudh was one of the pillars of the reform movement in Algeria, as he had an undeniable role in highlighting the importance of education by establishing clubs, institutes and educational schools in order to advance the society educationally and morally in order to face the colonizer and the missionary policy in addition to his adherence to the teachings of the religion according to a reformist approach derived from the Quran and the Sunnah, and in the light of this study, we propose an in-depth social and historical study in a scientific forum so that this generation can benefit from its scientific contributions and personal experiences. Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Keywords: *Ibrahim Bayoudh; the reform movement; social and educational reform.*

مقدمة:

شهدت الجزائر في تاريخها استعمارا قاسيا من طرف أعتى قوة استعمارية في العصر الحديث متمثلا في الاحتلال الفرنسي الغاشم والذي دام قرابة مائة وثلاثون سنة، تجرع فيه الشعب الجزائري كافة أصناف التعذيب محو الهوية الجزائرية العنف بأنواعه الجسدي والرمزي، التهميش، القتل، الاعتقالات، الأمر الذي دفع الغيورين على وطنهم من المتقنين والعلماء إلى توحيد الصف وإنشاء حركة إصلاحية سنة 1925م مهتمها بالدرجة الأولى النهوض بالبلاد وطرد المحتل الفرنسي الغاشم من أرض الوطن، فبدلوا جهودا عظيمة تكلفت بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ومن أبرزهم الامام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة (شرقا) والشيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان (غربا) والشيخ الطيب العقبي في نادي الترقّي (بالجزائر العاصمة) والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (شمال الصحراء) حيث ساهموا في نشر تعاليم الدين الإسلامي بعد الحملة الشعواء التي قادتها فرنسا في تجهيل المجتمع الجزائري وطمس شخصيته. (حاج امحمد،

2018، صفحة 58)

أما والده فلم يكن له رصيد علم في أي مجال، بل كان تاجرا وفلاحا في نفس الوقت، ولكنه أشتهر بين أعيان البلدة بحكمته والمشاركة في الشؤون الاجتماعية، أما أمه التي تنتمي إلى عائلة الحكم فقد اشتهرت بصرامتها وقوة شخصيتها مما كان له الأثر البالغ في توجيه إبراهيم وتربيته (ناصر، 2005، صفحة12) ولعل المجتمع الذي نشأ فيه الشيخ بيوض كان في أغلبه أمياً، لا يتعلم أبناؤه إلا صورا من القرآن في المحاضر "الكتاتيب" المتصلة بالمساجد، ولكن هذا الشعب كان إلى ذلك متدينا حقا، وملتزمًا بالأوامر والنواهي، غير أن تطبيقه للشرائع الإسلامية كان محدودا، الأمر الذي أدى إلى ظهور مفاهيم دينية خاطئة كتقديس بعض قبور الأولياء و اعتقاد أن لهم تأثيرا في الكون، وأنهم سبب النفع والضرر وضمن هذا السياق السوسيو ديني والتاريخ نشأ الشيخ إبراهيم بيوض وترعرع في أحضان والديه اللذين قاموا بتربيته تربية حسنة وصقلوا شخصيته بتعاليم الدين الحنيف وحب الخير للمجتمع. (الشيحاني، 2010، صفحة15)

2.1 تعليمه:

كان دخول الشيخ للمعهد في 1325هـ-1908م وعمره 9 سنوات وكان قد حفظ في كتاتيب بلدته بعض صور القرآن أين وجد في الشيخ الإبريكي ما أراد من علم غزير وبراعة في التدريس و التربية وفصاحة وذكاء، فتأثر به تأثرا كبيرا قال بيوض: "إن هذه الفترة في معهد شيخي الإبريكي هي التي كونتني من حيث الضمير وغرست في الروح الدينية المتأصلة وتقدير النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وحب الصحابة رضوان الله عليهم، أرى أن الفضل الأكبر علي في حياتي يعود لهذه الفترة". (دبوز، 1974، صفحة127) وقد أدرك مشائخه حبه الشديد للتعلم وشغفه في المطالعة، ووجدوا فيه كل المؤهلات من ذكاء وقوة حفظ، وثقة في النفس، وحب للعمل والمثابرة ورأوا فيه مستقبل الأمة وأمل المجتمع في النهوض والتقدم، فاعتنوا به وخصوه برعاية خاصة، فكان ذلك

المجتمع المسجدي: إعداد الدكتور محمد ناصر بوحجام، وهو مجموعة دروس مسجلة تدور في مجملها حول المجتمع الميزابي وأسباب تدهوره، ونظام العشائر. ثبوت الهلال بين الرؤية البصرية وحساب المرصد الفلكية: نقله من الأشرطة عمر قلاع الضروس وراجعه محمد صالح ناصر.

البدعة مفهومها وأنواعها: تحرير الطالب بولرواح إبراهيم في إطار بحوث التخرج. **الصحابة: فضلهم والرضا عنهم من خلال آراء الشيخ بيوض:** إعداد وتحقيق الطالب بهون إبراهيم في إطار بحوث التخرج بمعهد الحياة

أعمالي في الثورة إعداد وتقديم ناصر محمد، نشر جمعية التراث، القرارة، 1990—
فتاوى الامام الشيخ بيوض، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 1998.

نظام حلقة العزابة مخطوط: بميزاب: مكتبة الشيخ بيوض بالقرارة.

نبذة في حرمة المساجد وبيوت العبادة في الإسلام: مكتبة الشيخ بيوض

والعديد من المؤلفات للشيخ ذكرت في كثير من المصادر (عمي، 1996، صفحة 23-26) ومن خلال هذه المؤلفات العديدة والتسجيلات الصوتية التي حولت إلى كتب فيما بعد نجد الشيخ إبراهيم بيوض يحرص كثير على مفهوم الإصلاح على جميع المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية لكنه وضع شروطاً معينة لنجاح مشروع الإصلاح والتي من بينها: (بوطبة، 2015، صفحة 173)

- **المعرفة الجيدة بالواقع:** وهو شرط ضروري لإنجاح العمل الإصلاحي.

- **القيادة الكفأة:** قال الشيخ في رسالة بعث بها إلى الشيخ أبي اليقظان (فقد سبرت وامتحنت ونظرت وأمعنت، فعدت مؤمناً بأن الذي ينقذ البلاد المتأخرة اليوم إنما هو النواة التي تتجذب إليها ذرات الخير المبعثرة هنا وهناك وفي كل مكان، فتماسك وتتصلب ثم تسير فلا تقع على شيء ولا يقع عليها شيء إلا تحطم، فالمصائب الأعظم اليوم هو فقد الزعيم الحق، والقائد الماهر، والسائس الخبير)

- اليقين بالمنهج وعدم التأثر بضعاف العقول والنفوس .
- الرفق واللطف : يشدد على أن اللين والرفق شرط أساسي لتحقيق الأهداف المرجوة من الإصلاح، تأكيداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (دبوز، 1969، صفحة 207)
وكان الشيخ في عمله الإصلاحي يدعو الناس إلى ضرورة الأخذ بأسباب التطور الحاصل ومواكبته في مجال الفلاحة والصناعة والحرف والتجارة، دون أن يخل ذلك بالعبادات والتقاليد والأخلاق التي جاء بها الإسلام، رافضاً الجمود والتمسك بالماضي والرضا به دون محاولة تطوير الإمكانيات المتاحة، لأن حسب الشيخ العلم والمعرفة ليس حكراً على أحد ولا على أي دين، وعمل جاهداً على إنقاذ المجتمع الميزابي من سياسة الانغلاق التي كان ينتهجها. (دبوز، 1974، صفحة 104).

3. الدور الإصلاحي للشيخ إبراهيم بيوض: جهوده ونشاطاته

1.3 الجهود التربوية:

أيقن الشيخ إبراهيم بيوض من خلال احتكاكه بمنظري الحركات الإصلاحية في الوطن العربي أن الركيزة الأساسية للحركات الإصلاحية في أي مجتمع تكمن في التربية والتعليم لذلك أولى عناية خاصة بهذا الحقل التربوي وقد ذكر في هذا الصدد بقوله: "عرفنا من زمن بعيد أن لا صلاح للوطن إلا بالعلم الصحيح فدرجنا في سبيله وضحينا فيه بكل عزيز" (دبوز، 1974، صفحة 72) في الوقت الذي كرست فيه فرنسا جهودها في إنشاء مدارس مهتمها بالدرجة الأولى تجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية والإسلامية إضافة إلى المدارس التبشيرية التي غزت ربوع الوطن و الجنوب الجزائري تحديداً منطقة المنيعه وبغرداية وذلك من اجل الحملات التبشيرية ومحاولة إدماج الشعب الجزائري في الثقافة الفرنسية ومسح هويته وضمن هذا الواقع وضع الشيخ إبراهيم بيوض منهاجاً إصلاحياً تربوياً للنهوض بالعملية التربوية والتعليمية بطريقة حديثة وكان ذلك عن

طريق إنشاء معهد الحياة بالقرارة، والذي عني بتدريس اللغة العربية لمواجهة المدارس الفرنسية التي كانت تهدف إلى نشر الثقافة الفرنسية وتحريف أصالة المجتمع الجزائري (أعوشنت، 1987، صفحة36)

1.1.3 معهد الحياة : النشأة والمجال التربوي

يعتبر معهد الحياة من المعاهد ذات البعد العربي والإسلامي فهو مشروع علمي وتربوي واجتماعي عصري ومتطور ، حيث نشأ في فترة كانت تتخبط في انحطاط وجهل إضافة إلى المستعمر الغاشم الذي سعى إلى مسخ الشخصية الإسلامية والوطنية .

لقد تأسس معهد الحياة في سرية عن المستعمر الفرنسي وذلك في يوم 28 شوال 1343هـ الموافق لـ 21 ماي 1925م بمنزل الشيخ المؤسس وسماه بـ "معهد الشباب" ثم تحول إلى المسجد الكبير في قلب المدينة (الشيھاني، 2001، صفحة361) فقد كان الحل الوحيد للشيخ لمواجهة الثقافة الفرنسية التي تسعى إلى تحريف ومسح أصالة الجزائري ودينه الإسلامي (أعوشنت، 1987، صفحة43) ولهذا تجسدت أهداف التعليم في المعهد في:

أهداف عامة :

(1) طلب رضا الله.

(2) نيل العلم.

(3) محو الجهل.

أهداف خاصة:

(1) تكوين الملكات في مختلف الفنون وتنقيف العقل .

(2) تربية النفس تربية صحيحة وإعدادها لتحمل الرسالة المنوطة بها وهي السعي لإصلاح ما أفسده المستعمر في الدين والوطن.

(3) تكوين أفراد قادرين على تولي القضاء والإفتاء والتدريس والعديد من الأعمال التي من شأنها أن تساهم بقسط كبير في إصلاح المجتمع والوطن. (شرفي، 2009، صفحة62)

4. جهود الشيخ إبراهيم بيوض في الحقل الاجتماعي:

حرص الشيخ إبراهيم بيوض كل الحرص على أن يصبح مجتمعه متشعبا بالفضائل الإسلامية تملأه العقيدة الصافية الصحيحة و الأخلاق الحسنة ولذلك استند إلى كتاب الله وسنة رسوله فاعتمد في إصلاحه للمجتمع هذا ما أكده محمد صالح ناصر: "فراح يحارب الخرافات و البدع و يقاوم الجمود و التخلف الفكري بواسطة دروسه في المجتمع معتمدا في تبليغ هذه الرسالة على تفسير كتاب الله و شرح سنة رسوله" (ناصر، 2004، صفحة19)

ويذكر المؤرخين أيضا أن الشيخ بيوض ساهم بشكل كبير في تغيير الذهنيات والعقليات المتحجرة والجمود والعصبية المذهبية والعقلية والجهوية، وقام أيضا بإصلاح نظام العشائر بعدما كان يتسم بالانغلاقية وعدم تقبل التغيير بل وضعها في قلبها الحقيقي الذي يهدف له الدين الإسلام، وهي أن تكون همزة وصل بين مجتمعاتها وأداة تعارف وتعاون، وبذلك تحولت العشائر في القرارة الى نسق متماسك ومتين ودوائر متصلة ومتشابكة و راحت كل عشيرة تتنافس في ميادين الإصلاح رعاية اليتامى والأرامل الفقراء والمساكين (ناصر، 2005، صفحة20) إضافة إلى هذا حارب الشيخ بعض الخصال والسلوكات الفردانية التي ينبذها المجتمع والاسلام على حد سواء كالأنانية و الحسد و الحقد و الشح و الجبن و الرضا بالدون، وذلك عن طريق خطابات الدينية والمحاضرات الوعظية في المسجد، و في خطبه في المحافل و في مجالسه الحاشدة، و بهذا يكون قد غير الكثير من الذهنيات والسلوكات السلبية، كما قضى على البدع المضرة التي تتنافى مع العقيدة الصحيحة وما جاء به الدين فتخلصت الأمة منها. (دبوز، 1974، صفحة55) وقد لخص الشيخ بيوض رحمه الله قال: "سرت إلى المجتمع الميزابي ممن يعاشرهم من الأميين ومن عهود الجهل بعض أمراض كتقديس بعض قبور الأولياء ووجدنا في الأعراس عادات لا تليق من إسراف و غيره تضر صاحب العرس والمجتمع، وفي المآتم

مخالفة للدين فأثمر سعيه بإلغاء فرنسا لهذا القانون في ميزاب (عمي، 1996، صفحة 10)

ولعل هذا النشاط الدؤوب في المجال السياسي والاجتماعي للشيخ إبراهيم بيوض واهتمامه بإصلاح مجتمعه جعله يقق الفرنسيين والسلطات الاستعمارية وأصبح ضمن المطلوبين لمصالحها بل وصفته بـ"الشاب المشاغب" أو "المهيج الخطير" في مصادر تاريخية أخرى مما أدى إلى فرض الإقامة الجبرية عليه لمدة أربع سنوات ما بين 1940-1944م بالقرارة ولاية غرداية (ناصر، 2004، صفحة 256)، كما ساهم في جمع الأسلحة من كل المناطق، خاصة المنطقة الصحراوية، وكان ينظم اللقاءات السرية بين المجاهدين في أماكن سرية كما أُلح إلى كل التجار المنتشرة عبر ميزاب والقطر الجزائري أن تجمع مبالغ الاشتراكات لصالح الثورة.

كما التقى بأبرز الزعماء أمثال بن يوسف بن خدة وعبان رمضان لتنظيم جمع الأموال وغيرها، وفتح المحلات التجارية لتكون أماكن مخفية للثوار في قلب العاصمة وله في ذلك كتاب أسماه "أعمالي في الثورة"، مما أثار إنزعاج فرنسا فقامت بتفجير العديد من محلات الميزابيين في الجزائر كلها بواسطة القنابل وتقتيل العديد منهم. (ناصر، 2015، صفحة 189)

6. مواقف وآراء تاريخية للشيخ إبراهيم بيوض:

لقد سجل التاريخ للشيخ إبراهيم بيوض مواقف تاريخية هامة وآراء عديدة في فهمه لبنية المجتمع وظواهره المتعددة ولعل هذه المواقف الوطنية هي التي جهلت منه شخصية وطنية تاريخية لايزال إلى يومنا هذا من بين أهم الشخصيات التي دافعت عن الأمة الجزائرية ووحدة ترابها ومواقفها الراسخة ومن بين هذه المواقف نذكر بعض على سبيل المثال لا الحصر باختلاق مجالاتها التاريخية والاجتماعية والسياسية وهي:

كامل العدة للنضال والكفاح في شتى الميادين، فيحدث في الأمة انقلابا كبيرا و يدفع بها خطوات واسعة إلى مطمحها الأسمى" (دبوز، 1969، صفحة193).

3.6 قضية فلسطين:

في سنة 1948 كان الشيخ إبراهيم بيوض من بين الأربعة الممضيين على برقيات ورسائل التأييد باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين بالجامعة العربية. (عمي، 1996، صفحة18).

7. خاتمة:

من خلال ما عرضناه حول الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض بكونه لوجيا تاريخية سريعة لأهم المحطات الحياتية على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والتربوية ندرك أن الرجل كان داعيا ومصلحا اجتماعيا ومغيراً لأنماط اجتماعية كانت سادة في المجتمع المحلي الغرداوي بصفة خاصة والجزائري بصفة عامة، كما يتجلى لنا أيضا دوره الكبير في المحافظة على أصالة المجتمع الجزائري وهويته العربية والإسلامية، وذلك من خلال كتبه ومواعظه الدينية في المساجد وخارجها وإنشائه لمختلف المدارس العلمية وعلى رأسها معهد الحياة 1925م وما تركه من ثورة علمية وكتب قيمة ومنهج واضح في المجال الدعوي والإصلاحي ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه المقالة العلمية:

- أنها قد كشفت جوانب معتبرة من حياة الشيخ وجهوده الإصلاحية والفكرية.
- أن الدراسة مست أيضا حياة الشيخ ودوره في النهضة الإصلاحية ودعم الثورة التحريرية ومواقفه التاريخية من بعض القضايا المصيرية والتي كان يعتريها بعض المغالطات والتهويل والتفويض من مكانة الشيخ إبراهيم بيوض.
- تبين لنا من خلال الدراسة والبحث أن الشيخ تميز بخصائص القائد والمخلص من خلال أفكاره المستتيرة وأنه كان جد طموح في تحقيق مشروع التغيير والإصلاح لمجتمعه على كافة المستويات.

- يتضح لنا أيضا حجم العلاقات التي كان الشيخ يملكها مع الأفراد أو المؤسسات أو الهيئات داخل الوطن وخارجه بالإضافة إلى دوره المادة والمعنوي لدعم الثورة التحريرية.
- وقوفه في وجه سياسة المستعمر التصيرية وتمسكه بتعاليم الدين الحنيف .
- ما نخلص إليه أن مثل هذه الشخصيات لا تزال تحتاج إلى دراسات سوسيو تاريخية معمقة من أجل تسليط الضوء عليها بشكل دقيق وإعادة إنتاج أفكارها وإحياء مشروعها من جديد في ضل ما يعانیه المجتمع الجزائري من انسلاخ من أصالته بفعل العولمة أو الأمركة وهو ما يطلق عليه بالاستعمار الجديد.

8. قائمة المراجع:

- الحاج سعيد ،يوسف. (2014) تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. المطبعة العربية.
- الشيحاني، حمو. (2001). الفكر العقدي عند الشيخ بيوض منهجه وأبعاده. دار الخلدونية.
- النوري، حمو. (1996). دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا. دار البعث.
- أعوشنت، بكير سعيد. (1987). الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر. المطبعة العربية.
- بابا عمي، محمد. (1996). الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض. المطبعة العربية.
- بوحمام، ناصر. (2008). منهج بيوض في الإصلاح والدعوة. جمعية التراث.
- دبوز، علي. (1969). نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. المطبعة العربية.
- دبوز، علي. (1974). أعلام الإصلاح في الجزائر. المطبعة العربية.
- شرفي، سعيد. (2009). معهد الحياة نشأته وتطوره. جمعية التراث.
- ناصر، صالح. (2005). الشيخ بيوض مصلحا وزعيما. مكتبة الريام.
- ناصر، صالح. (2008). مشايخي كما عرفتهم. الجزائر: دار الريام، 2008.
- ناصر، محمد. (2004). الشيخ: إبراهيم بيوض المصلح والمربي. مكتبة الجيل الواعد.
- الشعيلي، سليمان. (2012). منهج الشيخ إبراهيم بيوض العقدي في تفسيره في رحاب القرآن عرض ودراسة. مجلة قطاع أصول الدين (7). 527-526.
- بوطوبة، لخضر. (2015). الشيخ إبراهيم بيوض وجهوده في الإصلاح الاجتماعي في الجزائر. مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية. (2). 185-164.

- بن رحال، أمينة. (2014). الشيخ إبراهيم بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية. (11). 182-194 .
- حاج امحمد، يحيى. (2018). الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير معاني القرآن الكريم تفسير الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض نموذج. مجلة دراسات. (9). 56-101.
- ناصر، محمد. (2015). ملخص لكتاب الشيخ إبراهيم بيوض مصلحاً وزعيماً. مجلة المسجد. (13). 185-193.